

ارتريا أرض البحر
الغضب العارم
الفصل الاول " الصحوة "



بقلم: الامين محمد سعيد

(1)

اصيب الماجور ابو فاطمة في نهاية شهر أكتوبر 1956م بإحباط شديد عندما علم من بعض عملاؤه، بإختفاء ادريس محمد صالح من قرية الشيخ حليب. فأرسل على الفور بطلب احد مساعديه وهو القبطان (1) تسفاسيلاسي وهو من اب تجراوي وام إرترية (2) وما أن مثل امامه حتى قال بلهجة حادة:-

- اين يوجد ادريس، الم ابلغكم بضرورة مراقبته على مدار الساعة؟

(1) قبطان رتبة عسكرية كانت تستخدم في مختلف دوائر الشرطة والإستخبارات الإرترية - الإثيوبية، وهي تعادل رتبة النقيب.

(2) التجراي هي مقاطعة إثيوبية تقع في شمال البلاد.

لم يتمالك القبطان كعادته عندما يكون وجها لوجه امام الماجور، من السيطرة على اعصابه، واخذت يده ترتجفان من وقع المفاجأة التي وقعت عليه كالصاعقة، ولسان متلعثم قال:-

- لاحظته قبل فترة اسبوع تقريبا ياسيدي في سوق السمك، ولاادري اين هو الآن. ومن المرجح ان يكون في قريته، او احدى القرى المجاورة.

رد عليه الماجور والشرر يتطاير من عينيه قائلاً:-

- لا اسألك متى واين رأيته. فما قلته لا يشفى ولا يرد عن ماسألتك عنه. انني اقول لك اين هو الآن.

كرر القبطان مقاله:-

- لا ادري اين هو الآن.

واضاف:-

- لقد وصلتنا قبل ثلاثة ايام معلومات تفيد بأنه كان يقوم بين الفترة والأخرى بالتوجه الى بعض القرى المجاورة لبيع بعض من اغنامه.

تأكد الماجور بان ادريس كان ينوى الإختفاء، ربما للقيام بعمل معادي للحكومة الإثيوبية، ومن اجل ذلك فقد رتب اوضاعه وباع ما يمتلك من مواشي تمهيدا للإختفاء. وماهي لحظات حتى إنتفض وهب واقفا على قدميه، موجها كلاما توبيخا حيث قال:-

- انكم لستم بالجديرين للقيام بالواجب الذي تمليه عليكم مسؤولياتكم.

وسرعان ماوجه له سؤالاً مباشراً:-

- ايعقل ان لا تكون لك معلومات عن شخص مشتبه به، سبق وان القي

القبض عليه، ومكث طويلاً في السجن الذي لم يخرج منه إلا بكفالة مالية؟

استدرك القبطان فضاحة الأمر، واحس وكأنه المسؤول عن اختفاء ادريس من القرية. فأراد ان يكفر عن ذلك عندما قال:-

موجها كلاماً او توبيخاً قاسياً حيث قال:-

- انكم لستم بالجديرين للقيام بالواجب الذي تمليه عليكم مسؤولياتكم.

وسرعان ماوجه له سؤالاً مباشراً:-

- ايعقل ان لا تكون لك معلومات عن شخص مشتبه به، سبق وان القي القبض عليه،

ومكث طويلاً في السجن الذي لم يخرج منه إلا بكفالة مالية؟

استدرك القبطان فضاحة الأمر، واحس وكأنه المسؤول عن اختفاء ادريس من القرية. فأراد ان يكفر عن ذلك عندما قال:-

- حقيقة لا علم لي بادريس منذ حوالي اسبوع. واعتقد بان هذا تقصيرا مني، سوف احاول تداركه في المستقبل. وارجوا المعذرة على ذلك.

واضاف قوله:-

- سوف ابذل قصارى جهدي للبحث عن ادريس وجلبه من المكان الذي يختبئ فيه ومحاسبته على جرم الإختفاء الذي ارتكبه. وسوف اوجه عناصرنا للبحث عنه في كل مكان، واحضاره اليك سيدي الماجور.

وعندما تأكد للقبطان، بأن قائده الماجور لم يهتم بإعتذاره ولا بالإقتراح الذي قدمه، ودون ان ينتظر طويلا، القى بالتحية العسكرية المعهودة، وخرج مهرولا من مكتب الماجور ابوظاطمة. في صبيحة اليوم الثاني وتحديدا في الساعة صباحا، وهو الوقت الذي عادة ما تفتح فيه المحال التجارية في مدينة مصوع، توجهت مجموعة من "بوليس عباي" (1) تتكون من سبعة اشخاص برئاسة القبطان تسفا سيلاسي وهي مدججة بالسلاح، الى دكان ادريس. وما ان وصلت اليه حتى وجدت فيه اخيه احمد. ودون اي مقدمات او القاء تحية الصباح، صاح القبطان في وجه احمد:-

- اين ادريس... ومن انت... وماذا تفعل هنا؟

وقامت مجموعة البوليس المسلحة في ذات الوقت بمحاصرة المحل ومنع اي كان من الإقتراب منه.

لم يتمكن احمد من فهم ماكان يقوله القبطان الذي كان يتحدث باللغة الأمهرية (1) التي لا يفقهها ومعظم سكان إرتريا. وعلى الفور، ودون اي مبرر، إنهالت اللكمات والصفعات بوجه وصدر احمد، واحد المارة الذي صادف وجوده امام المحل. وانطلقت السنة جنود "بوليس عباي" بالشنائم النابية بحق احمد واخيه ادريس.

(1) "بوليس عباي" هو الإسم الشائع الذي كان يستخدم لرجال البوليس الإرتري اثناء فترة الكولونيل تدلا عقبيت. وهي عبارة عن قوات خاصة ذات تدريبات عالية، أنيطت بها مهام القيام بليات الخاصة مثل مطارة عصابات قطاع الطرق، ومواجهة المظاهرات الشعبية، وتعقب وإعتقال الوطنيين الإرتريين.

(1) هي احدى اللغات الأثيوبية التي فرضها نظام هيلي سيلاسي عنوة على الشعوب الأثيوبية والشعب الإرتري كلغة رسمية.

وماهي لحظات حتى قام الجنود بإقفال المحل، ووضعوا القيد بيدي احمد وبدأوا يركلونه بأقدامهم، ويدفعونه كما تدفع الشاة الى مكان نحرها، وهم يسوقونه الى مركز قيادة الماجور ابوفاطمة. وما ان وصل الى المركز المقصود حتى دفع عنوة في إحدى الزنانات الإنفرادية ليمضي فيه طوال النهار دون سؤال او استفسار، ودون ان يدري حتى سبب وجوده في مركز الإعتقال.

ولم يتمهل القبطان، اذ سرعان ماتوجه الى مكتب الماجور ابوفاطمة وابلغه:-

- لقد وجدنا شابا في مقتبل ر في دكان ادريس، وقد اتينا به الى هنا. وانني بانتظار تعليماتكم بخصوص هذا.

رد الماجور:-

- احسنت فعلا، وسوف اقوم بإستجوابه لاحقا. والى حين ذلك عليك عدم المغادرة حتى آذن لك.

رد القبطان، وامارات الرضى بادية عليه قائلا:-

- امرك سيدي الماجور.

ما ان إنتصف ليل الثامن والعشرين من شهر أكتوبر 1957م، حتى انفتح باب زنزانه احمد الذي سمع صوتا يناديه بالخروج. وما ان اطل برأسه حتى وجد نفسه وجها لوجه مع قائد المعتقل الماجور ابوفاطمة سيئ السمعة.

تعرف الماجور سريعا على احمد الذي سبق وان شاهده وهو يتردد مع زوجة اخيه للإستفسار والإطمئنان على ادريس الذي كان احد نزلاء مركز الإعتقال. وبالمقابل فقد كان احمد هو الآخر يعرف الماجور، ويسمع عنه الكثير فيما يتعلق بممارساته التعسفية تجاه المعتقلين، ومع ذلك لم يضطرب كما كان يحدث لكل من واجه الماجور، ولم تخر قواه عندما بادره باللغة العربية قائلا:-

- اتدرى سبب وجودك هنا؟

رد قائلا:-

- لا ادري البتة. وكل ما اعلمه هو ان بعض من افراد "بوليس عباي" قدموا الى دكان اخي وجلبوني الى هنا.

طلب الماجور من مساعده القبطان تسفا سيلاسي ان يأتي باحمد للتحقيق معه في مكتبه.

وما ان مثل امامه، حتى لاحظ احمد بان اضاءة مكتب الماجور باهتة الى درجة يصعب فيها التعرف على ملامح المكان. فأيقن بان الوقت قد تجاوز كثيرا منتصف الليل، وان تباشير الصباح لامحالة ستطفوا في سماء المعتقل بعد لحظات، دون ان يدري بان تعميم المكان لم يكن سوى احدى الأساليب التي تتبع بغية ادخال الرهبة في نفوس المعتقلين بهدف اجبارهم في التحدث فيما يريد محققو رجال الماجور ابو فاطمة.

بدأ الماجور بطرح سؤاله التقليدي الأول الذي يتبعه المحققين عادة قائلا:-

- ما اسمك الكامل، وعمرك وما تقوم به من عمل؟

رد احمد قائلا:-

- اسمي بالكامل هو احمد محمد صالح جابر، ويبلغ عمري بصورة تقديرية الثانية والعشرين عاما، ولا يوجد لدي عمل محدد.

واردفة بالسؤال الثاني:-

- اذا لم يكن لك عمل محدد كما ذكرت فلماذا كنت متواجدا منذ الصباح الباكر في دكان ادريس؟

رد قائلا:-

- اتيت لإفتتاح دكان اخي، ول فيه نيابة عنه.

إبتسم الماجور بصورة تتم عن الخبث ليقول بعد ذلك:-

- ولماذا لم يقم ادريس بذلك؟

ادرك احمد بان الماجور يريد منه معرفة اخبار اخيه الذي لا يتواجد في البلاد. وقد يكون هذا هو السبب الذي ادى الى احتجازه في هذا المعتقل. فاكتفى قائلا:-

- ذهب لحضور زواج احد اقاربنا ولم يعد حتى الآن.

احس الماجور بانه قد امسك بالخيط الذي يبحث عنه فسأل:-

- متى ذهب والى اين؟

رد احمد:-

- ذهب الى كرن قبل حوالي اسبوعين تقريبا.

تنفس الماجور وزالت عنه ملامح الإضطراب والتوجس فقال:-

- ارجو ان تكون صادقا فيما تقول.

اعتقد احمد بانه سوف يفرج عنه عندما قام الماجور ابوقاطمة بمناداة الحارس المناوب الذي يقف امام مكتبه طالبا منه استدعاء القبطان تسفا سيلاسي. إلا ان امله قد خاب في ذلك عندما سمع الماجور يخاطب القبطان قائلاً:-

- سوف يظل احمد معنا الى حين معرفة اخبار ادريس والتأكد منها.

واضاف أمرا :-

- اعيدوه الى الزنزانه.

وعلى الفور اقام الماجور مجموعة بحث من المحققين تتوجه الى مدينة كرن، واذا تطلب الأمر الى مدينة اغوردات لإقتفاء اثر ادريس والقبض عليه وجلبه الى مركز اعتقال مدينة مصوع. وقد اختار مجموعته، التي لم تتجاوز الأربعة اشخاص بعناية فائقة، من الذين يجيدون لغة وعادات وطبائع اهل منطقة كرن ليتمكنوا من إنجاز مهمتهم على اكمل وجه.

توجهة المجموعة بصورة فورية الى كرن، وحسب التعليمات التي صدرت اليها، قام اعضاؤها بتقسيم انفسهم الى مواقع متعددة والمرابطة فيهما، علمهم يجدون من يساعدونهم في مهمتهم من من يعتبرونهم الأصدقاء او المعارف. فأتجه احدهم الى مقهى السيد منتاي التي يتردد فيها العديد من سكان المدينة وضواحيها، والكائنة بجوار الجامع الكبير، وواحد الى محطة القطار، وثالث الى سوق الخضار، ورابعهم الى حي حشلا⁽¹⁾ المكتز بالسكان. وجعلوا من فندق Palazzo Riva المملوك لأحد الإيطاليين مكانا لسكناهم ومعاشهم، ومقرا دائما لعقد لقاءاتهم اليومية التي اتفقوا ان يعقدوها في الثامنة من مساء كل يوم، بهدف التشاور وتبادل المعلومات بينهم. إلا انهم ولثلاثة ايام كاملة لم يتمكن اي واحد منهم من الحصول على اي معلومة ترشد الى ادريس.

في اليوم الرابع وكالعادة اتجه كل واحد من اعضاء المجموعة الى المكان المقرر له. وما ان انتصف النهار حتى لاحظ الباحث الذي كان يربط في محطة القطار من على بعد احد معارفه من العاملين في محطة القطار وهو يهرول للخروج من المحطة والتوجه الى منزله لتناول طعام الغداء، واخذ قسطا من الراحة الى حين العودة الى عمله.

(1) حي حشلا هو احد اشهر احياء مدينة كرن يعج بسكان المنطقة الأصليين.

ودون ان يهدر الوقت اسرع الباحث بالتوجه اليه. وما ان لاحظته عامل المحطة حتى بادره بالتحية والسلام، والإستفسار عن الأهل والأصدقاء. وكعادة اهل المنطقة، اصر عليه للتوجه معه الى المنزل وتناول الطعام. فما كان من الباحث سوى تلبية ماقدم له من طلب.

توجه الإثنان الى المنزل الذي لم يكن بعيدا عن محطة القطار. وبينما كانوا يتناولون طعامهم كانوا بين الفترة والأخرى يتطرقون لأوضاع بعض من معارفهم ويتبادلون المعلومات حولهم. وما ان فرغوا من طعامهم واغتسل كل واحد منهم، اراد الباحث انتهاز الفرصة التي اتاحت له والإستفادة منها، ممنيا نفسه في ايجاد ضالته من مضيفه عامل المحطة، فبادر سائلا وبصورة تتم عن الإهتمام:-

- ماذا تتوقع ان يكون حصاد هذا العام خاصة وان هطول الأمطار في كرن وضواحيها كان مرضيا؟

رد عامل المحطة قائلا:-

- اتوقع ان نحصل على حصاد وفير للغاية. فموسم الأمطار لهذا العام كما ذكرت يبدو جيدا، فقد هطلت الأمطار خلال الأسبوعين المنصرمين بصورة واسعة في كافة المناطق خاصة في الريف، وحسب علمي فقد كانت فوق المعدل الطبيعي. وان كل المواطنين خاصة الفلاحين منهم يستبشرون بها خيرا.

وجاء الدور على عامل المحطة ليقول:-

- وكيف الوضع عندكم في مصوع وضواحيها؟

رد الباحث:-

- لاتهطل الأمطار عادة في مثل هذه الأيام في مصوع وضواحيها. اما الأوضاع المعيشية العامة للسكان فهي جيدة.

لم يكتف عامل المحطة بما سمعه، اذ انه لم يكن يعني الحياة المعيشية العامة للمواطنين، بقدر ماكان يريد معرفة حقيقة ماكان يسمعه من اشاعات حول قيام السلطات هناك بإعتقال العديد من المواطنين، فبادر سائلا:-

- اننا نسمع بين الحينة والأخرى عن اضطراب الوضع السياسي في مصوع وضواحيها، فما هي حقيقة الأوضاع هناك؟

لم يشاء الباحث التطرق لما يجري خاصة فيما يتعلق بالإعتقالات التي كثرت حولها
الإشاعات فأكتفى قائلاً:-

- الناس هناك بإستثناء القلة منهم يمارسون حياتهم الطبيعية وبصورة مرضية.

الا ان عامل المحطة اراد معرفة اكثر مما قيل له فسأل:-

- ولماذا القلة منهم لا يمارسون حياتهم الطبيعية؟

شعر الباحث بان مضيفه سوف يواصل طرح الأسئلة عليه، والتي يمكن ان تسبب له الحرج
فأراد قفل الموضوع عندما قال:-

- انهم يهتمون بالسياسة وتطوراتها، بدلا من الإلتفاف الى اوضاعهم الخاصة. وبالتالي
يتورطون في قضايا ليسوا بالقادرين عليها.

ادرك عامل المحطة بان ضيفه لا يريد الإستمرار في الخوض في قضايا السياسة. فأختار
ان يطاوعه درءا للإجراج والتكلفة. فلاذ بالصمت المطبق الذي لم يكسره إلا عندما قال
الباحث:-

- انني ابحت عن صديق لي يدعى ادريس محمد صالح وهو من اهالي مصوع، وقد
اتى الى هنا للإشتراك في زواج احد أقاربه، ولم يعد حتى الآن الى قريته.

لم يشك عامل المحطة بنوايا ضيفه، فهو اعتقد بانه يبحث عن حق عن صديق له، ودون
ان يدري، انطلت عليه حيلة ضيفه، ففتح فمه ليقول:-

- انني اذكر بان شخصا من اهالي مدينة مصوع، كان قد قدم الى محطتنا قادمنا على
مايبدو من مصوع، وطلب مني ان اساعده...

وقبل ان يكمل قاطعه الباحث وسأله قائلاً وبصورة متعجلة:-

- ماذا يشبه هذا الرجل وما اسمه ومن كان معه؟

اندهش عامل المحطة من تلهف ضيفه، وعزى ذلك الى الإهتمام المفرط، ولم يكن في باله
بان من يبحث عنه لم يكن صديقه، ولم يشك اطلاقا في نواياه. فهو لا يمكن ان يشك فيه
خاصة وهو القادم من مصوع قاطعا مسافات طويلة للبحث عن صديق اختفت اخباره في
كرن، وبكل براءة قال:-

- انه رجل متوسط القامة يرتدي جلابية وصدريّة ضيقة، ويضع في رأسه عمامة قصيرة، ويتلحف برداء حريري مثله مثل معظم مواطني مصوع. يصحب معه اسرة مكونة من ثلاث او اربعة اشخاص على ما اعتقد.

واضاف عامل المحطة قائلاً:-

- طلب مني الرجل مساعدته للحصول في الحصول على مقاعد متقاربة في القطار المتجه الى اغوردات له ولأسرته. فلم يكن لي من بد سوى تقديم العون له، بل طلبت منه ايضا ان اقدم له اي مساعدة يحتاجها، خاصة عندما لاحظت بان الإرهاق باديا عليه وعلى أسرته. إلا انه شكرني واكتفى بما قدمته له من مساعدة.

تأكد الباحث بان من يتحدث عنه مضيفه لم يكن سوى ادريس، الا انه وباعتباره رجل تحري بوليسي، فانه اراد التأكد عندما سأل قائلاً:-

- وما اسمه؟

ورويدا بدأ عامل المحطة يدرك بان تلهف ضيفه لمعرفة كل شي عن الرجل الذي قام بمساعدته، وخلال فترة قصيرة وبصورة ملحة، لم تكن أمور طبيعية. فهو وان كان قد تعرف على اسمه فإن شكوكه من ضيفه اوحى له بعدم ضرورة البوح بإسمه، فقال بصورة مقتضية:-

- حقيقة لم اتحقق من اسمه.

اكتفى صاحب المحطة بما تحصل عليه من معلومات قيمة وودع مضيفه وتوجه نحو رفاقه مسرعا.

اجتمع الرجال الأربعة في احدي الغرف التي استأجروها. وما ان حللوا المعلومات التي طرحها لهم رفيقهم صاحب المحطة، حتى تأكد لهم بصورة قاطعة بان ادريس، قد ولى وجهه نحو السودان، او يكاد قد استقر بها. وتيقنوا بان من غير المعقول اللحاق به خاصة وهم يعلمون بان المسافة بين اغوردات وكسلا لا تستغرق اكثر من ثلاثة او اربعة ايام مشيا على الأقدام. وان ادريس لا يمكن خاصة وانه الهارب بجلده من جبروتهم، يمكن ان يبقى كل تلك الفترة في اغوردات. وقرروا العودة من حيث اتوا.

انزعج الماجور ابوظفاطة عندما علم بان رجاله لم يوفقوا في مهمتهم. فلم يكن له من بد سوى استغلال حالة الطوارئ التي اعلنتها حكومة السيد اسفها ولدي ميكائيل في طول البلاد

وعرضها، ليقوم بقرار اداري بحرمان احمد من مزاوله البيع والشراء في دكان ادريس، وذلك عبر الغاء الرخصة التجارية، وقفل المحل بالشمع الأحمر.

وجد ادريس مدينة كسلا غارقة تماما في وضع سياسي مضطرب، وذلك نتيجة لطغيان الإشاعات، والإشاعات المضادة، وصدور العديد من البيانات والتصريحات التي تتعارض فيما بينها، من قبل القوى السودانية المتصارعة سواء فيما بينها او بينها وبين بعضها. كما لاحظ عمق الخلاف المحتدم ضمن اطار الحزب الوطني الإتحادي بين الراغبين في التغيير وإزالة تبعية الماضي وبين المطالبين بالتمسك به من ناحية، وبين الحزب الوطني الإتحادي والإتجاهات اليسارية خاصة الحزب الشيوعي السوداني الذي عقد مؤتمره الثالث وانتخب قيادة جديدة على راسها عبد الخالق محجوب السكرتير العام للحزب الشيوعي السوداني في العام 1956م وهو العام الذي قدم فيه ادريس محمد صالح الى كسلا.

لا حظ ادريس تشابه الصراع السياسي بين ماكان يجري في بلاده وبين مايجرى في البلاد التي اختارها وطنا مؤقتا له. فبنفس المستوى الذي كان فيه المتصارعين في بلاده يلجؤون الى استخدام كل الحيل وكل ما يملكونه من تأثير ونفوذ سياسي، لاحظ بان كل طرف من اطراف الصراع السوداني يسخر مالمديه من قوة في سبيل فرض ارادته وشروطه، ومن اجل التأثير السياسي. فمنهم من لجأ الى الإستفادة من ثقله القبلي والطائفي، واصبح يحرك قبيلته وطائفته، ومنهم من حاول استغلال قطاعات ال والفلاحين.

كما لاحظ ادريس سعي رجال حكومة الإستقلال الى استغلال وتوظيف الوضع السياسي العام للمواطنين الذين كانوا يأملون خيرا من حكومتهم الوطنية، لصالح صراعاتهم مع الآخرين، ولتدعيم توجهاتهم في تقاسم السلطة السياسية وغنائمها.

ولمعرفة حقائق الأمور قرر ادريس ان لا يكون مراقبا متفرجا. وفي احدى الأيام وعندما كان جالسا يحتسي كوب الشاي في مقهى صديقه السوداني وهو محجوب الجعلي الكائن في احدى ميادين حي الختمية، قدم اليه شابا يافعا وهو بيتسم، ليسلمه بيانا سياسيا اصدره الحزب الوطني الإتحادي⁽¹⁾ يتعلق بحث المواطنين على تأييد سياساته، والإبتعاد عن الشيوعيين الذين وصفهم البيان بالخطيرين على مصالح البلاد والعباد. وما ان انهى ادريس قراءة ماجاء في البيان حتى التفت الى صديقه صاحب المقهى قائلا:-

(1) الحزب الوطني الإتحادي هو احد الأحزاب السياسية السودانية الذي كان له تواجدا ملحوظا وتأثيرا سياسيا واضحا في مدينة كسلا.

- لاحظت منذ قدومي الى هذه البلاد وجود صراع سياسي حاد بين مختلف الإتجاهات السياسية السودانية...

قاطعه محجوب الجعلي قائلاً:-

- شخصيا لا اود الخوض في القضايا السياسية، ويعود السبب لذلك هو سأمي وسأم العديد من المواطنين من الحالة السياسية المتردية التي نعيشها منذ اعلان إستقلالنا عن بريطانيا العظمي.

تدخل ادريس:-

- لكن المسؤولية الوطنية تحتم عليك وعلى زملائك خاصة وانكم عناصر وطنية كنتم تؤيدون نيل الإستقلال الناجز عن الإستعمار البريطاني، الإهتمام بما يجري في البلاد للمساهمة لمعالجة الوضع السياسي الذي تصفه بالتردي من ناحية، وللوقوف مع الإتجاه السياسي الصحيح لهذا الطرف السياسي او ذلك الطرف من ناحية اخرى.

ظهرت امارات التعجب على محجوب الجعلي، فهو لم يكن يتوقع ان يكون ادريس مهتما بالسياسة خاصة تلك التي تتعلق بالسودان، وتابع قائلاً:-

- العمل السياسي خاصة في السودان يحتاج الى رؤية سياسية صادقة وحقيقية، وهذا مالايتوفر في الأطراف السياسية التي تدعي العمل لمصلحة ورفعت السودان.

تحمس ادريس فهو وبطبعه كان في بلاده ولا زال يحب بل يعشق النقاش والجدل السياسي واراد معرفة المزيد عندما قال:-

- كيف يمكن ان نقول جازمين بان الأطراف السياسية السودانية، كل الأطراف لا تتمتع برؤية سياسة صادقة؟ خاصة اذا عرفنا بان الحركة السياسية السودانية ليست وليدة ما بعد الإستقلال. فقد علمت بان العديد من الأحزاب قد تشكلت منذ امد بعيد، ربما منذ الأربعينات مثل حزب الأشقاء، والشعب الديمقراطي، والوطني الإتحادي، والأمة، والأحرار، والشيعوي، وبعض الأحزاب الجنوبية، وبعض الإتجاهات والقوى الإسلامية والنقابية مثل ال والفلاحين وغيرهم.

واضاف بصورة شبه مستعرضة للأحداث السياسية السودانية قائلاً:-

- وهناك ميراث سياسي تاريخي عميق في السودان قد يتفق او يختلف في تفاصيله، تمثل في قيام الثورة المهدية التي هبت دون ادنى شك لمحاربة التحالف الإستعماري الإنجليزي التركي المصري منذ عام 1883م، ولتسحق ظلما وجورا في العام 1898م في واقعة كرري الشهيرة. كما شهد السودان اولى انتفاضته المسلحة في العام 1924م والتي عرفت بانتفاضة جمعية اللواء الأبيض بقيادة الثائر على عبد اللطيف ومجموعة بارزة من رفاقه...

قاطعته محبوب الجعلي ليقول:-

- كل ماقلته كان صحيحا. لكن المشكلة التي انطلق منها فيما يتعلق بالوضع السياسي السوداني الراهن، هي ان الحياة السياسية ما بعد اعلان الإستقلال لم تكن بنفس الحياة السياسية ذات الطابع التغييرى التي كنا نطالب بها، والمتمثلة في ايجاد السودان معافى من كل امراض التخلف القبائلى والإقليمى، والطائفى والفئوى. السودان يحمى مصالح مواطنيه ويدافع عنها. بل ان الواقع السياسى المرئى يملؤه الفساد والمحسوبية، والجري وراء المصالح والمنافع الفؤوية الضيقة، حتى وصل الأمر الى ان يتحالف بعض ممن يحسبون تاريخيا على الثورة المهدية، مع الطغاة الإنجليز والمصريين وغيرهم.

واسترسل قائلا:-

- وللتأكيد على ذلك، يمكننى القول بأنه وما ان اعلن عن الإستقلال، حتى تم وبصورة متعجلة حل حكومة اسماعيل الأزهرى، دون ان نتأكد من قدرتها او عدمه فيما يتعلق بإنجاز المهام المنوطة بها، لتحل محلها حكومة اخرى ترأسها الأزهرى مجددا، والتي سرعان ما انهارت هي الأخرى، لتحل محلها حكومة اخرى ترأسها هذه المرة عبدالله خليل التي ما ان اعلن عن تشكيلها حتى تم اسقاطها. وكل ذلك لم يكن سوى انعكاس للمكاييدات السياسية التي تقوم بها اطراف سياسية سودانية، البعض منها متحالف مع الإنجليز والبعض الآخر مع المصريين. وانغمس من نعتبرهم قادة سياسيين لنا في قضايا شراء الذمم، وتأليب الناس على بعضها البعض، والسعي لإسقاط الحكومات، وعدم اعطاء الفرص لتنفيذ البرامج المرجوة للحكومات، ليشكل كل ذلك واقعا مؤلما، ومحبطا لهمم وارادات الناس.

ولذلك كنت ولازال احبذ عدم الإهتمام بالوضع السياسي الرهن، الا ان تتحسن الأوضاع. ومع ذلك فان ما اقله لا يعني بأنني سوف اتهرب من مسؤوليتي السياسية تجاه وطني السودان.

لم يكن ادريس يتصور ان تكون الصورة السياسية في السودان متردية الى الحد الذي سمعه من محبوب الجعلي. وتذكر على الفور بان الإستعمار خاصة البريطاني هو السبب والمسبب الأساسي في تمزيق اللحمة السياسية للواقع السياسي السوداني. فهو اي الإستعمار البريطاني، ومثلما قام بتفتيت الواقع السياسي الإرتري ودفعه نحو التشرذم الطائفي والإقليمي والقبلي، فإنه لعب ايضا لعبته القذرة على تفتيت الواقع السياسي السوداني نحو التشرذم الطائفي والجهوي في السودان، مع تعميق ونشر المحسوبية، والرشوة، والتهرب من تحمل المسؤولية، والإتكالية وغيرها من عوامل الإرتداد الوطني الديمقراطي.

وهكذا اصبح ادريس محمد صالح دون ان يدري مهموما بثلاثة هموم كانت والى فترة معينة تآرق مضاجعه. الأولى وهي التي تتمثل في التزدي السياسي الذي يلف كل انحاء ارتريا، والثانية الهم او ما كان يسميه السودانيون خاصة المثقفون منهم، "بالورطة السياسية مابعد الإستقلال"، والثالثة هي توفير الحياة الكريمة لأسرته. ومع كل ذلك فقد عاهد نفسه بأن يكون مخلصا ووفيا لقضيته الأولى التي شرد بسببها، وان يكون متعاوننا مع مناضلي السودان لتحقيق ما يصبون اليهم، ويقوم بما يمليه عليه الواجب تجاه تعليم ابناؤه وتوفير الحياة لهم.

(3)

اصبحت عادة التردد على مقهى محجوب الجعلي في فترة ما بعد الظهر التي تبدأ في مدينة كسلا من الخامسة حتى السابعة مساء، احدى السمات التي كان يواظب عليها ادريس. فهو يجد في المقهى ضالته، فمن ناحية يحتسي اكواب الشاي والقهوة، وفي بعض الأحيان يكتفي بتناول كوبا من عصير الليمون الطازج الذي يشتهر به مقهى محجوب الجعلي، ومن ناحية اخرى يتبادل فيه اطراف الحديث السياسي مع رواد المقهى، ومن ثم يعود الى بيته ولا يخرج منه، الا اذ لم تكن له ارتباطات اجتماعية مثل حضور مآدب الأفراح وولائمها، او حضور افرشة العزاء، الا في اليوم الثاني وفي تمام الخامسة عصرا.

وذات مساء وبينما هو يحتسي كوبه من عصير الليمون الطازج المفضل له، لاحظ من على بعد احد اصدقائه القدامى الذي تركه في مصوع وهو السيد عمر يماني وهو في الأصل من ابناء قريتي "عايلت وقمهوت" التي كانت تحت المراقبة اللصيقة من قبل رجال امن ومباحث حكومة السيد اسفها ولدي ميكائيل. ودون ان يدري اسرع مهرولا للقاء صديقه. وما ان التقيا حتى احتضن احدهما الآخر وراحا يجهشان بالبكاء.

تأثر محجوب الجعلي بما لاحظته، فهو يعرف قسوة فراغ الأهل والأحبة، وقد كان رجلا كريما طيب المعشر يقدر ظروف واحوال الرجال الذين يصادقهم. فأسرع بتهدئة الرجلين وطلب منهما الكف عن البكاء قائلاً:-

- ما بكمما تبكيان كلنسوة. ماذا يقول عنكم المارة وانتم بهذه الحالة، كفوا عن هذا؟

انصاع الرجلان لكلام محجوب الجعلي، واخذا بعضهما متوجهين نحو المقهى. وما ان جلسا حتى احضر لهم محجوب الجعلي كوبين متلجين من عصير الليمون، عل ذلك يخفف عنهما حرقة البكاء.

بعد قليل بادر ادريس قائلاً:-

- منذ متى وانت في هذه البلاد؟

رد قائلاً:-

- منذ أسبوع تقريبا.

والحق ادريس سؤاله بسؤال آخر :-

- هل اتيت مع أسرتك؟

رد قائلاً:-

- لم يكن لي اي خيار سوى تركهم في قريتنا "عايلت قمهوت".

اراد ادريس معرفة المزيد من احول صديقه فقال مسرعا:-

- ومع من تسكن هنا؟

رد قائلاً:-

- اسكن مع قريب لي في حي الختمية، ويدعى محمود جروم وهو إرتري الأصل

سوداني المولد.

دنت ساعة الإنصراف حيث بدأ محجوب الجعلي بلملمة مقاعده المتناثرة فوق ساحة المقهى، فلم يكن لإدريس سوى توديع صديقه والإتفاق معه للقاء غدا في منزله لتناول طعام الغداء.

جهزت فاطمة زوجة ادريس الطعام. وما ان وصل الضيف المنتظر في حوالي الثالثة والنصف ظهرا، وهو الوقت المتعارف عليه في كسلا لتناول طعام الغداء، حتى تم فرش ارضية غرفة الجلوس بالسجاد المحلي المعروف "بالبرش" ليرصف فوقه اواني الطعام الذي كان سوادني اللون والنكهة، وإبريقا مليئاً بعصير الليمون الطازج.

ما ان تم الإنتهاء من تناول الطعام حتى قدمت القهوة المقلية على الطريقة الإرترية، ومعها صحن مليئاً بالذرة المقلية رش فوقه بعض من حبات التمر "العجوة". وفي جو ساده الفرح التام تناول الصديقان قهوتهما ليبدؤا بالحديث الجاد. فبادر ادريس سائلاً:-

- كيف تسير الأمور في بلادنا؟

اجاب عمر يماني قائلاً:-

- ما ان اطل علينا منتصف العام 1957م حتى ازدادت وتيرة إضرابات واحتجاجات ومظاهرات المواطنين في طول البلاد وعرضها على سياسات حكومة السيد اسفها ولدي ميكائيل الممائلة تماما للإمبراطور هيلي سيلاسي. وبالمقابل كان رد الحكومة عنيفا، اذ وما ان تبدأ المظاهرات حتى تقوم قوات "بوليس عباي" تساندها في اغلب الأحيان وحدات من "كبور زينيا" (1) بإستخدام العنف المفرط تكون من

(1) وحدات من الحرس الإمبراطوري.

نتائج اصابات بليغة بالمواطنين. ومن لم يصب يكون مصيره الإعتقال لأشهر عدة لاينجو منه إلا بكفالة مالية لا يتحملها إنسان عادي، وحتى هذا لا يتوفر إلا لسعيد الحظ.

ارتاح ادريس لسماع ماكان يسرده صديقه، اذ كان يؤمن بان الرد الحقيقي لتصرفات حكام إرتريا الممالئين لإثيوبيا هو الإحتجاج والعصيان المدني. فقال تعبيراً لذلك:-
- ان الطغاة لايفهمون سوى لغة التصدي، خاصة تلك التي تقوم بها الجماهير الغفيرة، الهاتفة بسقوطهم.
واضاف قائلاً:-

- اذ كان القوم عندنا في إرتريا قد وصلوا الى الحد الذي يواجهون فيه الطغاة وعلى امتداد الوطن الإرتري فإن هذا شئ مفرح ودليل على بدء إنفجار الغضب الشعبي.

لم يكتف ادريس بما سمعه بل اراد ان يعرف كيف امكن لأعداد غفيرة من الناس من التجمهر ومواجهة قوات الإستبداد الإرترية - الأثيوبية، فسأل:-
- من هو الذي كان وراء كل الذي كان يجري، او بمعنى ادق من هو الذي نظم كل تلك التظاهرات؟

لم يتأخر عمر يميني في الرد اذ سريعاً ماقال:-

- كان لزعماء إتحاد عمال إرتريا ومن ابرزهم سقاي كحساي وتكوؤ يحدقو وبعض اعضاء البرلمان الإرتري من امثال السيد عمر أكيتو وغيرهم دورا كبيرا في تنظيم وتوجيه المتظاهرين، ومن اجل ذلك تعرضوا للإعتقال والمساءلة.

انفتحت شهية ادريس لمعرفة المزيد فسأل:-

- وماهي المطالب التي رفعت في تلك المظاهرات؟

رد يميني قائلاً:-

- كانت المطالب ماثلة في كل الأنحاء والأماكن الإرترية التي جرت فيها المظاهرات. مثل ارفعوا ايديكم من إرتريا، احترموا دستورنا وقوانيننا، يجب إلغاء التدريس باللغة الأمهرية، على الحكومة إقالة مدراء المدارس المفسدين، الموت والعار للمتخاذلين وغيرها من الشعارات.

سأل ادريس:-

- وماذا كان رد فعل الحكومة ومن ورائها أثيوبيا؟

اجاب عمر يميني:-

- لم تكتف الحكومة بتسليط قوات البوليس، بل ايضا فإنها وبدعم أثيوبي مكشوف، قامت بحل اتحاد عمال إرتريا الذي اتهمته بانه من كان وراء المظاهرات والإحتجاجات، كما قامت بإعلان حالة الطوارئ في عموم البلاد، وحذر الإجتماعات حتى للمناسبات الإجتماعية مثل الزواج والمآتم إلا بإذن خاص يصادق عليه رئيس الحكومة شخصيا. بالإضافة الى مضايقة بعض اعضاء البرلمان الإرتري المعروفين بمعارضتهم لإجراءات الحكومة، والتحرش بالزعماء الوطنيين، وتهديدهم بالتصفية الجسدية. ودفع المأجورين للقيام بعمليات اغتيال الشخصيات السياسية العامة، مثلما حدث للسيد ولدآب ولدماريام عندما اطلق عليه احدهم النار ليصيبه بإصابات بليغة ارقدته المستشفى لعدة اسابيع.

واضاف يميني قائلا:-

- خلقت كل تلك الممارسات المعادية التي قامت بها حكومة السيد اسفها ولدي ميكائيل، واقعا سياسيا مضطربا في بلادنا لم يكن مألوفا قبل الآن. وعلى الرغم من اضطرار العديد من الإرتريين من الرجال والنساء، كبارا وصغارا الى الهجرة للبلدان المجاورة بحثا عن الأمن والأمان، فإن الحكومة سوف لن تتمكن من الحد من المظاهرات والإضرابات، بل على العكس فإن المظاهرات سوف تزداد وتتوسع لتأدى لا محالة، طال الزمن ام قصر، الى رمي تلك الحكومة في مزبلة التاريخ.

لاحظ ادريس بان الإرهاق بدى واضحا على عمر يميني، فقرر فض جلسة نقاشاتهم مقترحا:-

- اعتقد من المهم لنا اخذ قسطا من الراحة، اذ ان الإرهاق بدأ يأخذ منا القدرة على مواصلة النقاش. ومن الأفضل ان نرفع جلستنا هذه ليوم آخر.

احس يميني بانه هو المعني بما يقوله ادريس، اذ انه ومنذ ان قدم الى البلاد لم يذق طعم الراحة بعد. فرد قائلا:-

- لاشك بأننا اخذنا وقتا كافيا لإستعراض الأوضاع في بلادنا. وأحبذ ان نكتفي بهذا القدر.

فأقترح ادريس مجددا:-

- الأفضل ان نذهب الى مقهى محبوب الجعلي علنا نجد عنده ما نبل به ريقنا.

ضحك الإثنان وتوجها الى المقهى المقصود.

كان الوقت يشرف على انتهاء الزمن المحدد لعمل صاحب المقهى. فأسرع الصديقان بسكب اقداح عصير الليمون الذين طلباه في جوفيهما. وودع كل منهم الآخر، على امل اللقاء يوم غد في تمام الخامسة في مقهى محبوب الجعلي.

وفي مساء اليوم التالي، وحسب الموعد المحدد التقى ادريس بعمر يماني، وبعد ان طلب كل منهما ما يريد استهل ادريس الحديث قائلاً:-

- سمعت يوم امس وبعد ان افترقنا بان هناك بعض من تجار ارتريا قد وصلوا الى

كسلا فارين بجلودهم وأموالهم من بطش ومصادرة الحكومة الإرترية - الأثيوبية،

ولا ادري حقيقة ذلك، فهل علمت بشئ من هذا؟

اجاب يماني قائلاً:-

- نعم فقد سمعت بما قلته في صباح هذا اليوم وانا انوي التسوق في سوق الخضار

المجاور لنا.

واضاف بعد ان اخذ رشفة من كوب الشاي الذي كان امامه قائلاً:-

- فلم يكن لي من بد سوى ترك ماكنت انوى شراؤه والإسراع في مقابلتهم والتعرف

عليهم...

ودون ان يكمل قاطعه ادريس ليقول:-

- خيرا فعلت واين هم الآن، اقصد ان يتواجدون او يسكنون؟

رد قائلاً:-

- لا توجد لهم ضائقة فهم يسكنون الآن في احد الفنادق الذي يسمى بفندق "تاجوج".

واضاف قائلاً:-

- انهم كما اشرت من تجار مدينة اسمرا المعروفين في البلاد. فمعظمهم كان يعمل

في مجال التجارة خاصة في مجال توريد مواد البناء وتصدير البهائم والأسمك،

وأحدهم كان يملك ورشة لتصليح العربات الصغيرة وآخر كان له متجر كبير يبيع فيه مختلف انواع المواد الغذائية، وان معظم زبائنه من التجار العرب والطلّيان، وآخر كان يملك مرقص ليلي رواده من الميسورين.

لم يكن ادريس يهتم كثيرا بنوعية واعمال من اتو، بقدر اهتمامه في معرفة الوضع السياسي العام في إرتريا، بالإضافة الى الحالة الإقتصادية المتردية في البلاد. فسأل قائلاً:-
- وماذا قالوا عن الأوضاع في البلاد:-

اجاب يمّني قائلاً:-

- علمت منهم بأن حكومة السيد اسفها ولدي ميكائيل، وما ان حلت إتحاد عمال إرتريا، حتى قامت بجهد متواصل لتشكيل وتكوين إتحاد بديل يأتّم بالحكومة ويكون أداة طيعة لتنفيذ مآريها. ولتحقيق هذا قامت الحكومة بتقديم مسودة مشروع للبرلمان السوري الإرتري للمصادقة عليه. والذي سرعان ما حظي بدور ومساندة من هم يوصفون بممثلي الشعب. كما علمت منهم بأن الأوضاع الإقتصادية سيئة للغاية، فالبطالة قد عمت ارجاء البلاد، واقفلت بصورة متعمدة العديد من المصانع، واسعار الحبوب الغذائية والزيتون وغيرها في تصاعد مخيف الى درجة يتعذر الحصول عليها خاصة لذوي الدخل المتوسط والمحدود، واصبحت الجرائم الصغيرة والكبيرة مثل السرقة، وإغتصاب النساء، وقطع الطريق جزء من الحياة اليومية في المدن الكبيرة والصغيرة.

وتابع حديثه بالقول:-

- لم يتهاون اتحاد ال كما قيل لي تجاه الخطوات التي اتخذتها الحكومة الإرترية، فقد قام بإضرابات واسعة احتجاجا على مصادرة حقه. ومن ابرزها تلك التي اندلعت في يناير 1958م في مدن كرن وخاصة أغوردات التي كان يزورها الإمبراطور هيلي سيلاسي. وكل تلك المظاهرات قمعت بصورة وحشية من قبل وحدات "بوليس عباي"، كانت من جرها استشهاد واصابة العديد من المواطنين.

وقاطعه بسؤال:-

- هل كانت هناك معارضة ولو بصورة خجولة من قبل بعض البرلمانيين عندما قدم اسفها ولدي ميكائيل، مسودة مشروعه الذي قدمه للبرلمان السوري كما ذكرت، للمصادقة عليه؟

اجاب يماني قائلا:-

- لقد طرحت نفس هذا السؤال للذين تحدثت اليهم. فأعلموني بان البرلمان لم يكن سوى صنيعة لرئيس الحكومة. ومع ذلك كان هناك نفرا من اعضاء البرلمان ابدوا اعتراضهم اولا على حل الإتحاد، وثانيا على مسودة مشروع رئيس الحكومة. لكن لم يكن لهم الحيلة ولا القوة لتغيير الأمور. وبالتالي لم تكن لأصواتهم اي تأثير يذكر.

إرتشف ادريس قليلا من الكوب المليئ بعصير الليمون الذي كان امامه، وعبر عن رأيه بخصوص ماسمعه عن الأوضاع العامة في إرتريا فقال:-

- على الرغم من مختلف الصعوبات السياسية، والإقتصادية والنفسية التي تواجه شعبنا في الداخل، وما يتخذ حياله من ممارسات عدوانية، لا تختلف في طبيعتها ومنطلقاتها عن الممارسات الإيطالية الفاشية، فإن الشعب في إرتريا، وبكافة طوائفه والوانه السياسية قد تمكن، من كسر حاجز الخوف والتردد اللذين كبلا بهما من قبل الزعماء الفاسدين والمفسدين، وبالتالي فهاهو يبدوا معارضته الصريحة عبر المظاهرات والإحتجاجات لسياسات الحكومة يلة في اسمرأ، وهذا ما يجب ان نفتخر ونعتز به.

اتفق الطرفان على مواصلة لقاءاتهما، وعلى ضرورة اللقاء بكل قادم جديد من إرتريا، حتى يكونوا على بينة تامة مما يجري في إرتريا. كما اتفقوا على توطيد العلاقة بالقادمين سواء كانوا من المواطنين العاديين، ام من التجار.

(4)

كان ادريس يؤمن بأهمية بتدريس الأبناء، ومن اجل ذلك قام بإدخال ابنه منصور مبكرا في إحدى خلاوي القرآن الكريم في قرية الشيخ حليب كما يفعل العديد من ابناء المنطقة. وبعد ان تمكن منصور من القدرة على قراءة سور المصحف الشريف وانهاء اجزائه، الحقه بإحدى مدارس الآباء اليسوعيين في مدينة مصوع، لينال منها مبادئ الكتابة والقراءة باللغة الإيطالية. إلا ان ظروف إرتريا السياسية وتقلباتها، اجبرته واسرته على الفرار بجلده خوفا وخشية من غطرسة وطغيان حكومتي السيدين تدلا بايرو واسفها ولدي ميكائيل، والإستقرار في مدينة كسلا السودانية.

ومنذ ان استقر به الحال في بلاد جبال التاكا (1) وهو يعيش هواجس كيفية توفير فرص التعليم لأبنائه منصور وزينب. وذات يوم وبينما كان جالسا كعادته في مقهاه المفضل، لاحظته صاحب المقهي وهو غارق في تفكير عميق، فأسرع اليه قائلا:-

- مابك اراك مهموما على غير العادة؟

رد عليه ادريس بصورة مقتصرة قائلا:-

- لاشيئ يامحجوب الجعلي ...

قاطعته الجعلي:-

- كيف وانا اراك شاردا الذهن، وكأن جناحيك قد كسرا ماذا حل بك يارجل؟

التفت ادريس يمنا ويسرى وكأنه يخشى ان يلاحظه احد رواد المقهي، ليقول:-

- مضت على وجودي في هذه البلاد فترة من الزمن، ولازلت عاجزا ولا ادري كيف

اوفر لأبنائي...

انخلع قلب الجعلي، معتقدا بأن مكروها قد اصاب ابناء ادريس، فقاطعته قائلا:-

- ماذا حل بمنصور، ما بها زينب؟ هل ام العيال بخير، والوالدة ... الم تقل لي قبل

يومين بانهم بخير وفي احسن حال؟ ام ماذا، قل يارجل انطق؟

(1) هي سلسلة جبلية مشهورة تعرف باسم جبال التاكا، تطل على مدينة كسلا. وقد كُتبت المنطقة بما فيها المدينة باسم التاكا من كثرة اعجاب الناس بها، ومن كثرة ماتغنى بها العشاق.

اجاب ادريس:-

- انهم بخير وبألف صحة، ولا ينقصهما شئى سواء في المأكل او المشرب او حتى في الملابس. فنحن وكما سبق وان شرحت لك سابقا فإننا وحتى وان لم نكن ميسوري الحال، فإننا والله الحمد فإن حالتنا مستورة، ونكاد نكون احسن وافضل حالا من العديد من اقراننا اللذين لجؤو الى هذه البلاد.

إستشاط محبوب الجعلي غضبا ليقول:-

- اذا كان ماتقوله صحيحا، فلماذا تحمل هذا الهم البادي على وجهك؟

ادرك ادريس بأن لا خيار له سوى شرح ما يحس به. فرد قائلا:-

- ان مشكلتي تكمن في انني لم اجد حتى الآن الطريقة التي تمكنني من ادخال ابنائي للمدرسة. وهذا مايشغل بالي ويعكر مزاجي.

ضحك محبوب الجعلي حتى كاد ان يسقط على الأرض.

تعجب ادريس فقال:-

- مايك لماذا الضحك؟ اذا كان المرء لا يجد الوسيلة لتعليم ابنائه، او يفكر في كيفية ان يتحصل لهم على مدرسة، هما اشياء تستحق الضحك؟

شعر الجعلي بانه كاد ان يجرح مشاعر ادريس، فتوقف عن ضحكه وعلى الفور قال:-

- لا يا ادريس فأنا لا اضحك لأنني اريد الإسخفاف بما تفكر فيه. وارجوا ان لاتأخذ الأمور على علاتها.

واضاف قائلا:-

- كنت اضحك لأنني على يقين تام بان مسألة الحصول على مدرسة للأطفال هي من اسهل الأمور في كسلا، ولا تحتاج بأي شكل من الأشكال التفكير فيها كثيرا الى درجة ارهاق الذهن الذي يشل التفكير.

انفرجت اسارير ادريس ليسأل:-

- وكيف يتم ذلك، وبأي الطرق يمكن توفير المدرسة للعيال؟

رد الجعلي قائلا:-

- ابسط شئى ... لا ترهق نفسك واترك الأمور لي.

وعلى الفور قام من مقعده، واحضر كوب من عصير الليمون المثلج، قام بصنعه بنفسه وقدمه لإدريس وهو يقول:-

- لا عليك اشرب هذا، فهو طازج سوف يزيل عنك الهم الذي تحمله.

وماهي سوى لحظات حتى احس ادريس بالإنشراح، وراح يعزي نفسه قائلاً "لا يمكن للمرء ان يظلم مرتين، مرة في بلاده ومرة في بلاد الغربة". وتيقن بان "الدنيا بخير"، كما يقول راجحوا العقل في بلاد السودان. وان هناك العديد من الخيرين من امثال محجوب الجعلي.

بعد ثلاثة وبينما كان ادريس جالسا في المقهى، لاحظ بان محجوب الجعلي جالسا بالقرب منه. فسلم عليه كما يفعل كلما التقى به. وبعد ان اخذ الجعلي رشفة من كوب الشاي الذي جلبه معه وقال:-

- التقيت يوم امس بأحد معارفي، وهو مدير للمدرسة الميرغنية الابتدائية، وهي قريبة من الحي الذي تسكن فيه. وقد اخبرته ان يجد لي مقعدين واحد لمنصور والآخر لزينب للعام الدراسي الجديد، فوافق على الحال مشكورا. وهكذا نكون قد تخلصنا من الهم الذي كنت تحمله.

ما ان سمع ادريس ما قيل له، حتى غمرته الفرحة، وقام على الفور من مقعده، واخذ برأس الرجل يقبله مرة وثانية وثالثة. فأزاح الجعلي يديه ليقول:-

- استغفر الله يا ادريس ما هذا التصرف؟ انني لم اقم إلا بجزء من الواجب. وان تمكني من الحصول على مقعدين لابناءك لا يبرر في ان تقبل رأسي. الا يعتبر منصور واخته زينب ابناء لي؟ ام ماذا في الأمر؟

احس ادريس بالحرج، الا انه ادرك بان من الضروري تفسير ما قام به، فقال على الفور:-

- نعم، وبنعمة الله فإن ابنائي هم بمثابة ابناءك بالتمام والكمال. لكن درجت العادة عندنا في البلاد، بأن يقوم المرء بتقبيل رأس كل من اسدى له بنصيحة قيمة او قدم له معروفا، وذلك من باب الإحترام والتقدير.

تعجب الجعلي، وقال:-

- انكم قوم لا تضيعون اجر من احسن لكم. وهذا ملاحظته منذ ان تعرفت عليك. فأنت تشكرني دائما وبإستمرار في كل صغيرة اقوم بها لك، وهذا حقيقة وللتاريخ

اقولها وهي انكم تملكون ثقافة حقيقية جيدة ذات صبغة انسانية ومدلول اجتماعي طيب.

بدأ رواد المقهى بالإنصراف واحدا تلو الآخر، وقد كان هذا إيذانا بدنو ساعة الإنصراف. فلم يكن من ادريس سوى توديع صاحب المقهى، والتوجه الى داره، حيث وجد فيه السيدة فاطمة وهي لاتزال تقوم بتنظيف اواني الطبخ. فعاجلها بتحية المساء وبصورة تتم عن الود والإحترام.

غسل ادريس يديه ورجليه كما يفعل مساء كل يوم. وماهي لحظات حتى قدمت له زوجته السيدة فاطمة طعام العشاء الذي احتوى كعادة اهل كسلا، من رغيف اسمر وصحن متوسط الحجم من الفول السوداني رشت فوقه بعض من اوصال البصل والطماطم، وقليل من فتات الجبنة البيضاء الكثيرة الملوحة، وكوز من الماء البارد ليشفي به ظمأه ويبلل به ريقه. لاحظت فاطمة بان زوجها يبتلع طعامه بتلذذ واضح، ويكثر في نفس الوقت من الإبتسام لها، فأدركت بان هناك شيئا ما يخفيه عنها، فارادت التأكد من ذلك فقالت:-

- خير انشاء الله اراك منشرح البال.

رد عليها دون ان تفارقه الإبتسامة:-

- هذا المساء هو من افضل الأمسيات التي مرت علي في هذه البلاد.

واضاف قائلا:-

- لقد حرمتنا يازوجتي العزيزة كثيرا، فنحن كما ترين نتواجد في ارض غريبة عنا،

وفي هذه الأرض لا يحق لنا ان نتمتع بحياتنا كما يتمتع بها اهل البلاد، او كما

كنا نتمتع في بلادنا.

تدخلت فاطمة قائلة:-

- لا اعتقد بأننا لا يمكن ان ندير شؤون حياتنا، كما يديرها اهل البلاد.

رد عليها ادريس قائلا:-

- لا نستطيع يافاطمة ان ندير شؤوننا كما يدير مواطني هذه البلاد شؤون حياتهم.

فنحن وحتى وان قوبلنا بالترحاب واليسر، فإننا لانزال غرباء على هذه الأرض.

اجابت فاطمة:-

- لا تعقد الأمور يارجل، ولا تخلق من "الحبة قبة". ان من حقنا ان نعيش كما يعيش غيرنا. فنحن حتى ان لم نكن من ابناء هذه البلاد بالمولد، إلا اننا لسنا غرباء عليها. فبلادنا او مسقط رؤوسنا، لا تبعد عن هذا المكان الذي نحن فيه اكثر من مسافة يومين او ثلاثة ايام مشيا على الأقدام. اما بعض مناطق بلادنا فهي لا تبعد من هنا سوى سويغات معدودات.

واضافت لتأكيد ما تقول:-

- الحدود بين هذه البلاد هي حدود مصطنعة، وليس نحن الذين خلقناها، بل كما تعلم فإن قوى الإستعمار هي التي خلقتها. انك تدري تماما بان من كان يستعمر بلادنا كان يستعمر ايضا هذه البلاد، فخذ الإيطاليين الذين كانوا يتواجدون على هذه الأرض على سبيل المثال، وقس على ذلك ايضا قوى الإستعمار البريطاني...

احست بان عليها التوقف لإعطاء فرصة الحديث لزوجا. إلا انها عندما لاحظت بأن مجال الحديث لا زال مفتوحا لها عاودت لتقول:-

- ان حدود بلادنا هي على مرمى البصر من هنا، فبقدره الشخص ان يتناول طعام افطاره في منزلنا هذا، ويتناول قهوته قبل حلول وقت الغداء في قرية ثلاثة عشر او حتى مدينة تسني، خاصة اذا كان يستخدم احدى الدواب القوية. ويعود في نفس اليوم لتناول طعام عشاءه هنا في حي الختمية الكسلاوي.

انبهر ادريس لحجج زوجته وسلاسة وحقيقة طرحها. واراد معرفة من اين تحصلت على مثل تلك المعلومات التي كانت تناسب منها بفصاحة، والتي فاتت عليه فقال:-

- من اين لك كل ماقلتيه؟

اجابت قائلة:-

- لاتنس بان معظم القاطنين في هذه المدينة وضواحيها هم من اصول إرترية. انك تجد فيها البني عامراوي، والحبابي، والبجاوي، والطنقي، وابناء الشكرية وغيرهم يماثلوننا الطباع والعادات، والتقاليد، ويشتركون معنا في اللغة التي يتحدثونها. ومن هنا لا يجد القادم من إرتريا اي صعوبة في التعرف عليهم ومخالطتهم.

احست فاطمة بان زوجها يصغي اليها باهتمام. فأرادت تطمينه، وابعاد الهواجس عنه والتي تتتابه كلما احس بضائقة حتى لو كانت صغيرة، فقالت:-

- لا تخشى يا اخي ولا يأخذ منك الوسواس مأخذ الجد. فنحن وان كنا بعيدين عن اهلنا وارضنا، وهذا بالطبع ما يحز فينا، إلا اننا بين اشقاء واصدقاء مخلصين لنا ومتعاطفين معنا من ابناء الجعلية والشاقية، والذناقلة والنوبة، والمحس وغيرهم لا استطيع حصرهم. وكلهم يعتبروننا جزءا منهم. وعلى الرغم من اننا نجاور اسر متعددة الأعراق والأجناس، الا اننا نلتقي فيما بيننا يوميا، من خلال الأطفال، والإستفسار عن البعض، وإستعارة الأشياء، وتبادل الخضروات مثل البصل، والطماطم، وعلب الصلصة، والفجل والعجور وحتى علب السردين التي لا استصيغها وغيرهما.

سرت الطمأنينة في نفس ادريس، وتأكد بصورة لا ريب فيها بان له سندا قويا ممثلا في زوجته وام اولاده فاطمة فقال:-

- صدقت يا فاطمة، لقد غاب عني ما كنت تقولينه منذ لحظات، وانا الذي اعتبر نفسي عارفا بل عالما بأمور السودان السياسية منها والغير سياسية. وها انت الآن تذكريني بأننا واهل هذه البلاد نرتبط بوشائج عميقة من العلاقات العائلية، والهموم المشتركة، وامصالح المتدخلة والمختلطة.

ردت فاطمة:-

- لا بأس عليك. فأنا وبشاركني العديد ايضا بأن اهل هذه البلاد امتداد لنا. فعلى سبيل المثال فإنني عندما اذهب للبقال المجاور لنا، او اذهب لسوق الخضار يوميا، فإنني لا احس بأن القوم يعاملونني كأجنبية، بل على العكس فإنهم يعتبرونني واحدة منهم، ويسألونني عن احوالنا، واولادنا، وفي كثير من الأحيان يطلبون مني ان ادفع لهم لاحقا اذا احسوا بأن مامعي من النقود لا تكفي لسداد ما طلبته، ولم يحدث من اي واحدا منهم وان غشني في الميزان، او فرض علي سعرا مرتفعا.

توقف الإثنان برهة لتعاود السيدة فاطمة قائلة:-

- لكن لم ترد على سؤالي عن سبب انشراحك؟

فاجاب قائلاً:-

- كما قلت في البداية، فمنذ ان وصلنا الى هذه البلاد لم يمر علي مساء مثل مساء هذا اليوم الذي انشرفت فيه نفسي، وفرح فيه قلبي. ويعود ذلك لما انبأني به محبوب الجعلي الذي قال لي بانه قد طلب من احد معارفه من مدرء المدارس الإبتدائية، بان يتحصل له على مقعدين دراسيين لكل من منصور وزينب، وقد نجح في ذلك. وهاذا هو سر سعادتني وفرحتي. فأبناءنا يافاطمة سوف يجدون الباب مفتوحا امامهم لمواصلة دراستهم الإبتدائية.

لم تكن فرحة السيدة فاطمة بأقل من فرحة زوجها. ومع ذلك آثرت بالإكتفاء، وهي ترفع يديها نحو السماء قائلة:-

- حمدا لك يارب، ياما انت كريم.

وتوجهت على الفور الى موقع سجادة الصلاة الممدودة تحت شجرة الحناء التي غرستها بنفسها، واعتنت بها سقيا وتنظيفا، حتى اصبحت شجرة كبيرة تستظل بها في فترة الغيلولة وتؤدي تحتها صلواتها الخمسة، لتأخذ ركعتين شكرا وحمدا لخالقها.

ما ان حل شهر يوليو من عام 1958م، وهو بداية العام الدراسي لمدينة كسلا وضواحيها، حتى استعدا منصور واخته زينب للإلتحاق بالمدرسة. وفي الموعد المحدد قام محبوب الجعلي بإصطحابهما يرافقه بالطبع والدهم الى المدرسة الميرغنية الإبتدائية.

استقبلهم في فناء المدرسة مدير المدرسة ورحب بهم. وعلى الفور ملئ استمارة قبول منصور واخته زينب في مدرسته. ليلتحق الأبن بالفصل الثالث واخته بالفصل الأول.

وهكذا تمكن ادريس بمساعدة محبوب الجعلي من الحاق ابناؤه بالمدرسة، كما كان يريد ويرغب.

(5)

تواصلت احتجاجات المواطنين على الممارسات القمعية لحكومة السيد اسفها ولدي ميكائيل، خاصة احتجاجات اتحاد ال إرتري، الذي لم يتهاون من اجل انتزاع حقوقه، ولم يخشى بطش الحكومة. بل زاد من وتيرة اضراباته واحتجاجاته طيلة العام 1958م.

وكان الصديقان ادريس وعمر يميني، وبفضل ماكان ينقله الفارون من إرتريا بصورة صادقة وأمانة، ومتابعتهم وتقصياتهم للأوضاع الإرترية العامة وتداعياتها، على دراية تامة بما يحدث في معظم المناطق الإرترية.

وذات يوم كان الصديقان وكالعادة وفي مقهى الجعلي، يتبادلان اطراف الحديث والذي مايكون في الغالب مركزا ومنصبا على الأوضاع والتطورات السياسية الإرترية او السودانية، قال عمر:-

- بدأت الأمور تأخذ منحى آخر في بلادنا.

اهتم ادريس لما قيل، فأراد معرفة المزيد عندما قال:-

- وما الجديد في الأمر، هل تحصلت على معلومات جديدة لا علم لي بها؟

اجاب عمر:-

- قبل ثلاثة ايام وصلت الى كسلا بعض الأسر الإرترية، واستقرت في احدى

البيوت القريبة من المكان الذي اسكن فيه. فكان لا بد من اللقاء بها والإطمئنان

على اوضاعها، ومعرفة ماذا كانت تحتاج الى مساعدة، حتى نقوم بتلبيتها، وهذا

مايفرضه علينا الواجب.

ارتاح ادريس لما قام به زميله فقال:-

- من واجبنا وواجب كل إرتري تقديم يد المساعدة للمحتاجين، خاصة من قبل

القادرين منا.

واضاف سائلا:-

- وكيف وجدت اوضاعهم؟

رد عمر:-

- اوضاعهم لأبأس بها بإستثناء معاناتهم من الإرهاق الذي كان باديا عليهم. وهذا راجع حسب تقديري لما تكبدوه من مشقة الطريق. ومع ذلك فقد كان احدهم وهو شيخ طاعن في السن يدعى مسعود كان يعاني من حمى الملاريا. وقد احضرت له من صيدلية حي الختمية بعض من حبوب الكولوركين. وقد لاحظت اثناء زيارتي له هذا الصباح بانه في تحسن ملحوظ.

مان سمع ادريس بذلك حتى اقترح:-

- اذا فالواجب يملي علي زيارته والإطمئنان عليه، واذا لا يوجد لديك مانع ارجوا ان ترافقني.

وافق عمر وماهي لحظات، وقبل ان يسدل ليل كسلا ستاره، حتى توجه الصديقان الى المنزل الذي يقطنه مسعود. وما ان طرقتوا الباب حتى قامت احدى النسوة بفتحه بعد ان تعرفت على عمر، وهي ترحب بهم وتطلب منهم الدخول الى الدار.

سلم ادريس على الرجل التسعيني الذي نهض من سريره واقفا على رجليه ليرد تحية ضيفه بوجه بشوش حفرت فيه سنوات الحياة المديدة التجاعيد البارزة الملامح. والذي سرعان ما امر احد احفاده الذي كان يقف في ساحة الدار لإحضار الماء والشاي لضيوفه.

ايقن ادريس بان الشيخ مسعود قد شفي تماما من مرض الملاريا فقال موجها كلامه للشيخ:-

- الحمد لله على السلامة. ارى بأنك في صحة جيدة، وهذا دليل على شفائك من حمى الملاريا.

كان على الشيخ الرد اذ قال:-

- الفضل كله يرجع لله سبحانه وتعالى اولا وقبل كل شئ، ولهذا الرجل، مشيرا الى ادريس، الذي احضر لي الدواء المناسب. وها انا كما ترى فقد شفيت تماما من مرض الملاريا الخبيث، الذي لم اصب به طيلة حياتي، سوى هذه المرة.

واضاف:-

- كان الناس يحذروننا من المبيت في ضواحي قرية ثلاثة عشر، وذلك خوفا من الإصابة بالملاريا، التي يسببها البعوض الذي ينتشر في المنطقة بصورة غير معقولة. لكن لم يكن لنا من حيلة اذ اضطررنا، وذلك للإرهاق الذي هد حيلة

العديد منا، خاصة النساء والأطفال، للمبيت في بادوب⁽¹⁾ ضاحية القرية،
ضارين بعرض الحائط كل النصائح التي قدمت لنا.

تدخل عمر قائلاً:-

- لا شكر على الواجب يا شيخنا. فأنا لم اقم سوى بما يمليه علي الواجب. وما
احضرته من دواء لم يكن مكلفا. فهو دواء مدعوم من قبل الحكومة.

بدت امارة التعجب على الشيخ ليضطر قائلاً:-

- ماذا تعني بالمدعوم؟

اجاب عمر قائلاً:-

- اعني بان الحكومة قد سددت اكثر من ثلاث ارباع قيمة الدواء مسبقا، ولا يبقى
سوى الربع الأخير الذي يقوم الشاري بدفعه. وهذا لا يرهق كاهل المواطن في هذه
البلاد لشراء الدواء الذي يكاد يتحصل عليه بصورة مجانية.

علق الشيخ مسعود:-

- هكذا تفعل الحكومات الصالحة التي تهتم بشعبها، وليس مثل الحكومة الموجودة
عندنا في البلاد.

واطلق ضحة ذات مغزى، لم يكن لإدريس وعمر سوى مجاراتها.

ادرك ادريس بان للشيخ اهتمامات بالسياسة، فأراد معرفة حقيقته، فأنتهز الفرصة ليقول:-

- وما بها حكومتنا، الا تقوم هي الأخرى بالإهتمام بالمواطنين؟

رد الشيخ دون وجل او إرتباك:-

- الحكومة الموجودة في بلادنا ليست بوارد الإهتمام بالمواطنين. فهي لا يمكن ان

تهتم بهم لأنها ليست بحكومتهم. فقد اثبتت الأيام بان حكومة السيد اسفها ولدي

ميكائيل هي حكومة تهتم فقط بمطالب أثيوبيا وتسعى جاهدة الى تحقيقها.

استغرب ادريس لقدرة الشيخ على تحليل الوضع القائم بالنسبة للحكومة الإرتزية. فهو لم يكن

يتوقع ان يكون محدثه متبحر في عالم السياسة مع المقارنة بسنه الذي شارف على العقد

التاسع. وتأكد له تماما بان الشيخ صادقا في كل ما قاله، فأطمئن له قلبه.

الا ان عمر انتهز فرصة الحديث عن الوضع في البلاد، وما قيل عن الحكومة فقال:-

(1) البادوب وتعني الأرض الخلاء او الصحراء بلغة السكان المحليين.

- لماذا تركتم البلاد، وكيف تسير فيها الأمور؟

انتبه ادريس للسؤال المطروح، واستعد لسماع الإجابة.

قال الشيخ مسعود:-

- تركنا البلاد كما تركها غيرنا، نتيجة للحالة المزرية فيها. كان بالإمكان علينا تحمل الصعاب الاقتصادية وتبعاتها. لكن لم يكن بالمستطاع تحمل تحرشات ومضايقات رجال الحكومة. خاصة من كانوا اعضاء فاعلين في حزب "الأندنت"، وغيرهم من المطالبين بحكم ووصاية الإمبراطور هيلي سيلاسي، والمتعاطفين مع مطالب اثيوبيا.

واضاف قائلاً:-

- شخصيا لم اكن خائفا او مرتعبا من ممارسات الحكومة. بل كان كل خوفي منصبا على الأبناء والأحفاد الذين يمكن ان يعتقلوا ويزج بهم في المعتقلات والسجون دون ان ندري عنهم شيئا. بل يمكن ايضا ان يختفوا من على الأرض حتى دون ان نعلم بإعتقالهم. وقد كان هذا هو السبب الأساسي الذي اجبرنا على مغادرة بلاد آباءنا وامهاتنا.

حاول ادريس تطيب خاطر الشيخ المسن عندما قال:-

- هذا هو قدرنا الذي سطر لنا. وان الحكمة تدعوا ان نتقبله، ونسعى الى ازالته بما يحفظ عزتنا، ويحقق كرامتنا.

طأطأ الشيخ رأسه علامة عن الرضى والقبول بما سمعه. وماهي لحظات حتى طرح

ادريس سؤال يفيد:-

- وماذا عن اوضاع بلادنا العامة ياشيخنا.

رد الشيخ قائلاً:-

- تركنا البلاد وهي تغرق في بحر من الإضرابات الاحتجاجية. فبعد ان تمكن رئيس الحكومة من السيطرة المطلقة على البرلمان، وعلى شؤون البلاد بما فيها الشؤون الصغيرة والتافهة، حتى انفجر الغضب الشعبي الإرتري العارم، خاصة من قبل اعضاء اتحاد عمال إرتريا. ففي العاشر من فبراير 1958م، اندلعت الإضرابات التي اشترك فيها العديد من المواطنين من ال، وصغار التجار، وبعض موظفي

الحكومة، والعديد من الفلاحين الذين اتوا للمدن للبحث عن ارزاقهم. وقد انتشرت المظاهرات في كافة اجزاء البلاد، وعمت معظم المدن الكبيرة والصغيرة على السواء. والكل يطالب بإيقاف العبث الأثيوبي ووضع حد له، وترك إرتريا واهلها لشؤونهم.

لم يترك عمر الفرصة للشيخ حتى يلتقط انفاسه فقال وبصورة تتم على التعجل:-

- وماذا كان رد او تصرف الحكومة تجاه التظاهرات ومن قاموا بها؟

اجاب الشيخ قائلاً:-

- فقدت الحكومة السيطرة على زمام الأمور، اذ كانت المظاهرات تأخذ بعدا سياسيا جديدا، تمثل في الهم بمصير البلاد، فأصيبت بالهلع. ولم يكن لرئيس الحكومة سوى الإستجداد بمشائخ القوم وعقلائهم، على ذلك يساعده على اخماد المظاهرات التي انتشرت سريعا في طول البلاد وعرضها، كما تنتشر النار في الهشيم.

تحمس ادريس واراد سماع المزيد عندما قال:-

- وماذا كانت النتيجة هل تمكن العقلاء وكبار القوم من مساعدة رئيس الحكومة؟

رد الشيخ قائلاً:-

- لم يتمكن رئيس الحكومة، ولا من استتجد بهم من التأثير على المتظاهرين لإيقاف احتجاجاتهم. استمرت المظاهرات لحوالي اسبوع بدأت في العاشر لتنتهي في السابع عشر من فبراير 1958م. وسدت كل ابواب التفاوض، اذ اصر المتظاهرون على مطالبهم التي تمثلت في احترام ارادة الشعب الإرتري، وعودة الحياة السياسية الطبيعية، ورفع المظالم، واعطاء ال حقوقهم وغيرها من المطالب. وبدلا من تقديم استقالته، او تلبية مطالب المتظاهرين، طلب منهم انهاء تظاهراتهم والتوجه الى بيوتهم. وعندما لم يجد الإستجابة، أمر مدير شرطته الكولونيل تدلا عقبيت ان تقوم قواته بفض المظاهرات حتى لو استدعى ذلك استخدام العنف.

توقف الشيخ قليلا واخذ رشفة من كوب الماء الذي كان امامه. وبعد ان احس بانه قد بلل

حلقة قال: مضيئا:-

- وكان الإصطدام المباشر بين المواطنين المتظاهرين وبين قوات البوليس الإرتري، في كافة المدن الإرترية، وبصفة خاصة في مدن اسمرا، ومصوع، ودقي محاري، وعصب. لتكون النتيجة قتل العشرات وجرح المئات بفعل عصي ونيران رشاشات البوليس. وتم اعتقال الآلاف، بما فيهم العديد من قادة اتحاد ال، والطلبة. ودمرت العديد من المنازل والمؤسسات الرسمية. واخيرا وبعد ان تمكن رئيس الحكومة ومدير شرطته من اخماد المظاهرات العارمة، اعلن وعلى الفور حالة الطوارئ في كافة انحاء إرتريا، وحذر الإجتماعات، واخيرا القيام بحل اتحاد عمال إرتريا بصورة رسمية. وهكذا قامت السلطات الحكومية الإرترية ونيابة عن الحكومة الأثيوبية في الإسهام على مصادرة حق الشعب الإرتري في العيش أمانا مستقرا.

لاحظ ادريس بان مسعود لم يقصر في نقل الحقيقة لهم بصورتها الكاملة. فأقر على ضرورة ترك الرجل ليستريح، خاصة وان الليل قد بدأ بالتغلغل، فالتفت الى زميله عمر كإشارة منه على انتهاء اللقاء، ليقترح قائلا:-

- لقد اسدل الليل ستاره على طول وعرض مدينة كسلا، وعلينا تركك لتستريح، ونحن على أمل اللقاء بك كلما سنحت لنا الفرص.

رد الشيخ مسعود قائلا:-

- اذا على بركة الله، أمل ان لا تتسونا.

وأمن الرجال الثلاثة على ضرورة المواصلة والإتصال فيما بينهم.

(6)

كان العام 1958م، وكنتيجة لتراكم المكاييدات والتناحرات السياسية بين اقطاب النخب السياسية، من اصعب السنوات في المجال السياسي. ففي هذا العام عاشت كسلا بل السودان كله، في جو ملبد بالغيوم المنذرة بالعواصف السياسية.

فقد ظهرت التناطحات وازدادت حدتها وطغت على السطح بين حزب الأمة بقيادة الإمام عبدالرحمن المهدي، والتيارات الإتحادية التي كانت تطالب بالوحدة مع مصر، مثل احزاب الوطني الإتحادي، والشعب الديمقراطي. واصبح التراشق والإتهام بعرقلة مسيرة مستقبل السودان بين السيد عبدالله خليل رئيس الوزراء وهو احد اعمدة حزب الأمة، والسيد اسماعيل الأزهري، وهو من البارزين من قيادات طائفة الختمية، الذي كان زعيما لحزب الأشقاء ورئيسا للوزراء في حكومة الإستقلال الأولى، جزء من الحياة السياسية اليومية السودانية.

واخذت البيانات والبيانات المضادة بين المتناطحين تنتشر بصورة واسعة في كافة المدن، بل حتى الأرياف السودانية. واختلطت الأمور بين المواطنين، واصبح من الصعب عليهم تحديد الإتجاه السياسي الحقيقي. وبنفس الصورة ايضا اصبح على ادريس وبعض الإرتريين المهتمين بالشأن السياسي السوداني تبيان حقيقة الأمور. ومع ذلك كان هناك شخصا واحدا وهو محجوب الجعلي، احد القادرين على فك اسرار وطلاسم طبيعة تلك الصراعات، فإتجهت اليه الأنظار لمعرفة مايجري، وما يحمله المستقبل للسودان.

كان مقهى الجعلي منذ اعلان استقلال السودان، ملتقى العديد من الناشطين السياسيين، الذين يسعى كل واحد منهم الى كسب الأصحاب والمناصرين، والسعي لتوسيع وتضخيم "كومهم"، كما يقول زعماء السياسة السودانية. وقد كان ادريس يلاحظ احتدام نقاشاتهم، وتضارب حججهم، بجانب سماعه للصراخ والعيول الذي كان يهدر من حناجرهم، وتبادل الكلمات الجارحة بينهم. وكان يعتقد بان القوم لامحالة بانهم سوف يتقاتلون وتسيل الدماء بينهم. الا انه سرعان ماكان يكتشف كل مرة، بان المتعارضون لايلجؤون الى العراك بالأيدي او استخدام اللكمات والعصي، كما كان يفعل المتعارضون في بلاده إرتريا. وكان يعزي ذلك "بالتسامح" الذي يتحلى به الإنسان السوداني.

اراد ادريس معرفة المزيد حول الحال السياسي للسودان، وقد كان محجوب الجعلي ملجأه الأول والأخير.

وذات امسية سأل صاحبه قائلاً:-

- لماذا كل هذا العراك السياسي بين مختلف الأطراف السياسية السودانية، خاصة اذا علمنا بأن الهدف الأساسي الذي لا خلاف عليه هو استقلال السودان، وهذا ماحدث وتأكد على الأرض؟

اجاب الجعلي بصورة مختصرة حيث قال:-

- سبق وان اخبرتك بأنني لا اريد الخوض او التحدث في الحال السياسي الذي نعيشه.

الا ان ادريس استنكر عليه هذا، وحاول تذكيره قائلاً:-

- اذكر بانك سبق وان اخبرتني بالمرارة التي تحسها حيال السياسة السودانية واقطابها. لكن اود ان اذكرك بانني قد قلت لك حينها بان المسؤولية الوطنية تحتم عليك الإشتراك في ل السياسي خدمة لمصلحة السودان. وها انا اذكر بقولي هذا مجدداً.

احتار محجوب الجعلي، هل يلزم الصمت كما كان يرغب، ام يبوح بما يؤمن؟ واخيرا استقر به الرأي بطرح ما يعتقد صواباً فقال:-

- اسمع ياادريس، حقيقة لم اكن بالوارد للتطرق للأوضاع السياسية الراهنة. إلا ان الجملة التي قلنتها حول ما تحتمه على مسؤوليتي الوطنية هي التي تدفعني لقول ما اريد.

اجاب ادريس:-

- هذا عين الصواب.

ومن اجل تشجيعه واثارته في نفس الوقت اضاف قائلاً:-

- كل مواطنو السودان يهتمون بالسياسة، واكاد ان اقول جازماً بان اي مواطن يحس بانه شخص سياسي، ويسعى الى اثبات مايقوله عبر خوض النقاش والجدل السياسي. فالجدير بأمثالك ان يهتموا بل السياسي، حتى اذا كانوا لا يرغبون بالإنخراط فيه بصورة يومية مباشرة.

تحمس محبوب الجعلي، وبدأ بالحديث ليقول:-

- الإشكال السياسي الذي نعيشه هو ليس وليد الساعة. بل استطيع من خلال ملاحظاتي، وما كان يرويه لنا الكبار، بان اقول واصفه بالأشكال القديم - الجديد. ان ما نلاحظه اليوم من انقسام حاد في اوساط النخب السياسية، ما هو سوى انعكاس لما يمثلونه من افراز سياسي - طائفي متباين ومتصارع ، بين مؤيدي إنضمام السودان الى مصر، مثل الإتحاديين بكافة مشاربهم وتوجهاتهم سواء القدامى منهم مثل حزب الإشقاء بزعامة اسماعيل الأزهري، او الجدد منهم مثل الختميين من امثال الحزب الوطني الإتحادي، ومن انفصل عنهم لاحقا مثل حزب الشعب الديمقراطي، والمناوون لهم مثل حزب الأمة وطائفة الأنصار.

اراد ادريس مزيدا من الإستفسار فقال:-

- علمت بان السيد اسماعيل الأزهري هو اول من شكل حكومة الإستقلال. فإذا كان ينادي بالإنضمام الى مصر كما يقال ويشاع، فكيف يستقيم ان يشكل حكومة مستقلة ذات سيادة لها علمها، وبرلمانها، ودستورها، وجيشها وإدارتها؟ الا يعتبر هذا اجحافا به، وبما كان يمثله؟

اجاب محبوب الجعلي قائلا:-

- حقيقة كان الأزهري من احد ابرز السياسيين المعروفين بتأييدهم للإنضمام الى مصر. لكن إنقلب على ذلك لأسباب مجهولة لدى الكثيرون منا. وفي اعتقادي وبعد ان إستأثر بالسلطة وذاق حلاوتها، وعرف الجاه وتمتع به، انقلب على ماكان يؤمن به. وبالتالي فقد كان من الطبيعي ان يناور ويعمل بصورة تدريجية للتخلص من فكرة الإنضمام.

واضاف قائلا:-

- وكننتيجة لذلك فتحت امامه ابواب جهنم. فقد عارضه وبشدة العديدون من الإتجاهات الختمية، ومظلاتهم السياسية ومن ابرزهم الحزب الوطني الإتحادي. وخرج عليه جهارا ونهارا اقطاب الإتحاديين ومن ابرزهم السياسي المخضرم ميرغني حمزة.

انتظر محبوب الجعلي قليلا ليبتلع ريقه وليضيف قائلا:-

- تصاعد الأمر بين الرجل ومناوئيه، وبدأت صورته بالإهتزاز عندما تحالف الخصمين اللدودين السيدين عبدالرحمن المهدي وعلي الميرغني ضده ليؤدي ذلك بدوره الى ان تسحب الثقة عن حكومته ومن ثم اسقاطها في ديسمبر 1956م لتحل محلها حكومة جديدة برئاسة سكرتير حزب الأمة السيد عبدالله خليل.

تدخل ادريس سائلا:-

- ولماذا كان الأنصار وحزب الأمة يعارضون الإنضمام وتوجهات طائفة الختمية في هذا الخصوص؟

رد الجعلي قائلاً:-

- سؤال مهم للغاية. فالإتجاهين ومنذ القدم يناوؤن بعضهم البعض سواء فيما يتعلق بالأمور الدينية اوالسياسية. بالإضافة الى ذلك كان ولازال لحزب الأمة مرارات عميقة تجاه مصر، البعض منها يرجع منذ عهد الثورة المهديية، والبعض الآخر تجاه مفاهيم بعض قادة العهد الجديد بقيادة الرئيس جمال عبدالناصر، خاصة ما يتعلق بمفهوم وحدة وادي النيل.

واضاف:-

- ويعتقد حزب الأمة ومن ورائه طائفة الأنصار بطبيعة الحال، بان عبدالناصر يريد مصادرة حق السودانيين في تكوين وتشكيل دولتهم المستقلة، وعبر ذلك السيطرة على إنسياب تدفق نهر النيل الى مصر، حتى لو كان ذلك على حساب حصة السودان.

ما ان توقف محجوب الجعلي حتى بادر ادريس قائلاً:-

- وماذا عن خلاف الإتحاديين مع حزب الأمة والأنصار؟

اجاب الجعلي قائلاً:-

- يعتقد انصار الإتجاهات الإتحادية وطائفة الختمية، بل يؤمنون بان حزب الأمة وطائفة الأنصار يسعون الى تنصيب الإمام عبدالرحمن المهدي ملكا على السودان بهدف السيطرة وجني المكاسب لهم وحدهم. بجانب اعتقادهم بإرتباط حزب الأمة بمصالح بريطانيا العظمي.

واضاف وبصورة تتم عن الأسي قائلاً:-

- ان لكل طائفة من الطائفتين، انصارية كانت ام ختمية، طريقتها ومنطلقاتها الدينية وتفسيراتها السياسية لواقع حال السودان، التي تتعارض بطبيعة الحال مع طرق وتفكير ومنطلقات الطائفة الأخرى. وباعتبار انهن يعتمدن بصورة مطلقة على انصارهن في ادارة صراعاتهن الطائفية والسياسية فإننا نجدهن متخاصمتين ومتنافرتين بإستمرار، وتتعدم بينهن المودة والتقدير، والإستعداد للعمل بصورة مشتركة، بل يصل الأمر فيما بينهن في كثير من الأوقات، الى تخوين بعضهن البعض، الى درجة يصعب فيها قبول احداهن بما تطرحه او تقدمه الأخرى. وفي المحصلة النهائية يكون الضرر قد اصاب كلاهن.

وبينما الرجلان منسجمان في حديثهما، قدم احد صبية المقهى الى محجوب الجعلي وهمس في أذنه، مذكرا اياه بدنو ساعة اغلاق المحل، والإنصراف بعد عناء يوم كامل من ل الشاق، فأقترح الجعلي قائلاً:-

- لقد سرقنا الوقت ونحن لاندرى.

رد ادريس قائلاً:-

- لكن لم ننتهي من نقاشاتنا.

قدر محجوب الجعلي رغبة ادريس، لكن لم يكن له من حيلة، فطبطب على كتفه مقترحاً:-

- افضل ان نلتقي غدا بعد صلاة المغرب.

وافق ادريس على عجل، وانطلق الى بيته.

في اليوم الثاني وحسب الموعد المقرر توجه ادريس الى مقهى محجوب الجعلي ليجد الإشاعات تتردد بقرب إنقلاب عسكري على السلطة المدنية. واخذ الناس، خاصة رواد مقهى الجعلي بتناول ما تيسر لهم من الشاي والجبنة، ومغادرة المكان بأسرع وقت والتوجه الى منازلهم إثناء لشر قد يأتيهم من حيث لا يحتسب.

وبالفعل كانت الإشاعات صادقة فيما راحت اليه، اذ ما ان حل اليوم السابع عشر من نوفمبر من عام 1958م حتى انتشر الجنود المدججين بالسلاح في كافة شوارع المدن الرئيسية في السودان، ومن بينها مدينة كسلا حيث تحرك الجنود من حامية المدينة ليحتلوا المباني العامة مثل مقر المديرية، ومباني الحكومة، ومقرات الأحزاب السياسية والأندية الإجتماعية، ويفرضوا حذر التجوال، والمظاهرات والإجتماعات، واصدار الأوامر لأصحاب

المحال التجارية، بمن فيهم مقهى الجعلي، بقفل ابوابهم حتى اشعار آخر، ولم يستثنوا من ذلك حتى اسواق الخضار، ودكاكين الجزارة والصيدليات.

وتأكد الناس بخبر الإنقلاب عبر المارشات والأناشيد العسكرية التي كانت تبثها اذاعة ام درمان، وعبر صدور العديد من المراسيم والأوامر العسكرية مثل حذر نشاطات الأحزاب، وتعطيل البرلمان والدستور المؤقت للسودان، وما ان انتصف النهار حتى علم الناس بان الجيش قد شكل مجلسا اعلى يدير شؤون البلاد، برئاسة الجنرال ابراهيم عبود الذي وصف بأنه قائد الإنقلاب العسكري.

مرت الأسابيع بل الشهور دون ان تلتقي اسرتي ادريس وحقوص التي تعيش في قرية خشم القرية. فاتفق ادريس مع زوجته بأخذ زمام المبادرة وتسجيل زيارة للأسرة بهدف الإطمئنان على اوضاعها والتعرف عليها عن كثب. فوافقت السيدة فاطمة على ذلك بطيبة خاطر.

في اليوم المحدد وفي السادسة صباحا، وهو موعد قيام رحلات الباصات، توضأ ادريس واخذ ركعتين لله تعالى، وارتنى جلابيته السودانية الفضفاضة التي اعتاد عليها منذ مجيئه الى كسلا، ووضع فوق رأسه ذات السبعة امتار، وانتعل مركوبا⁽¹⁾ خفيفا مصنوع من جلد احدى الأبقار، وحمل عصاه المزركشة بالنقوش النبوية التي اشتراها في احدى الأيام من سوق كسلا، وما ان استعد للسفر نادى على زوجته فاطمة التي ارتدت هي الأخرى ما ترتديه النسوة في كسلا، من طرحة مزركشة صنعت من خامة القطن الخالص، طبعت عليها بعض رسومات اوراق الشجر، ولفت جسمها بثوب ناصع البياض، وارتنى نعلا خفيفا، وتوجهها معا الى موقف الباصات. وما ان وصلا حتى وجدا صدفة باص اللوري⁽²⁾ المتجه الى قرية خشم القرية. وماهي سوى ساعات محدودات وصلا الزوجان الى مقصدهما، وتوجهها رأسا الى منزل حقوص اعدوم الذي لم يكن بعيدا عن موقف الباصات.

دق ادريس باب المنزل، ليظهر عليه بروخ وهو الأبن الأكبر لحقوص، وهو يبخلق عليه دون ان يتعرف عليه. فعاجله ادريس سائلا:-

- أنت بروخ ابن حقوص؟

وما ان سمع ادريس رد الصبي بالإيجاب قال:-

- لقد كبرت ماشاء الله واصبحت رجلا. هل ابوك في البيت؟

لم يجب الصبي بل واصل بحلقته.

وماهي لحظات حتى سمع ادريس صوتا من داخل المنزل، تأكد بانه صوت صديقه حقوص، وهو يقول بلهجة سوادنية:-

(1) المركوب هو حذاء تقليدي يرتديه اهل السودان، خاصة اهل شمال ووسط السودان. ويصنع في الغالب الأعم من جلود الأبقار. اما النوع الفاخر منه فيصنع من جلود الحيوانات المقترسة مثل الأسود والنمور، وايضا من جلد الأسلة وهذا النوع الأخير، لا يمكن ان يتحصل عليه سوى الميسورين من اكابر القوم.

(2) اللوري هو عبارة عن شاحنة نقل خفيفة يتقن اهل السودان تحويلها الى باص للركاب، ويجوبون به براري ومدن السودان.

- في شنو يابروخ؟

رد الصبي:-

- زول ومعاها مرة دايرين عشانك.

قام حقوص على الفور من العنقريب الذي كان ممدا فيه، وتوجه الى الباب للتأكد والتعرف على من يريدونه. وما ان لاحظ بان الواقف لم يكن سوى ادريس ومعه زوجته فاطمة، اصيب بالدهشة لوقع المفاجئة عليه، ولم يدري بنفسه إلا وهو مرتميا على احضان ادريس يقبل يديه، ومن ثم خديه ورأسه.

ادخل حقوص ضيفيه الى حوش المنزل، وصاح على زوجته قائلاً:-

- تعالي انظري من معنا؟

اعتقدت ترحس بان التي تقف امامها هي امرأة سودانية مكتزة الجسم. وما ان إبتسمت فاطمة، حتى ايقنت بان التي تقف امامها لم تكن سوى فاطمة زوجة ادريس، فسرعان ما صاحت وهي تقول:-

- اختي فاطمة غير معقول! نعم ... فاطمة بلحمها وشحمها.

ودخلت المرأتان في عناق طويل.

ودبت الحركة في المنزل، وكأنه خلية للنحل، اذ قام حقوص بإرتداء ملابسه ودون ان يستأذن خرج مسرعا من المنزل متجها الى البقال المجاور، واشترى رطلا من البن، وكذا من السكر، وقليل من الزنجبيل، وعاد ليجد ترحس وهي تقدم لكل من ادريس وزوجته قطعا من بصلة مبشورة متوسطة الحجم، كدواء "لتغير الجو"، كما يفعل غالبية اهل إرتريا عندما يحط ادهم رحاله من السفر. وعلى الفور قامت بإحضار لوازم القهوة، ووضعت الفحم على الموقد، وراحت تغلي الذرة الرفيعة، وما ان فرغت من ذلك حتى تمكنت سريعا من قلي القهوة وتجهيزها.

بينما قام بروخ بجلب ربع لوح من الثلج من مقهى "السعادة" القريب من البيت، ووضعه في جردل مليئ بالماء ليقدم لضيوفه ماء باردا. واحضر الأبريق وراح يصب الماء على قدمي الزوجين عله ينفذ عنهما غبار السفر. وما ان اتم ذلك حتى قام بللمة كراسي الخيزران المتناثرة في حوش المنزل، ونفض الغبار عنهما، ووضعهما في مكانهما المخصص ليجلس عليهما الضيفان وأبيه.

انتهت ترحس من اعداد القهوة، واحضرت المبخرة ووضعت فوقها قطعتي جمر، لتصب فوقهما قليلا من افضل ما عندها من البخور العدني، لتتطلق خلال ثواني ادخنة البخور ذات الرائحة النافذة التي عبقت جو المكان. وراحت تصب القهوة في الفناجين المعدة، وتناول الحضور كل فنجان، لتأخذ بعدها الفجان الذي خصصته لنفسها.

ضمن جو طغى عليه الفرح والسرور، وفي واقع تقليدي سيراموني إرتري صرف تناول الكل قهوته، وتبادلا اطراف الحديث عن الصحة والأولاد، وتطرقا الى الأوضاع العامة في كل من خشم القرية وكسلا.

ما ان رفعت لوازم القهوة ايذانا بإنهاء مراسيم القهوة، اقترح حقوص على ضيفه قائلاً:-

- مارأيك بان نأخذ جولة في سوق خشم القرية، الى ان يحين موعد الغداء؟

كان ادريس يريد ان يتعرف على ملامح البلدة، خاصة اسواقها العامرة التي يتحدث عنها الناس بإعجاب شديد، فوافق على اقتراح زميله حقوص.

اتجه الصديقان في البداية الى سوق الخضار الذي وجداه يعج بالمتسوقين ومليئاً بالعديد من انواع واصناف الخضر. ومنه عرجا على محلات البهارات، التي كانت هي بدورها مليئة بانواع متعددة من البهارات التي يستخدمها اهل السودان بكميات كبيرة، مثل الكمون والكزبرة، والفلفل الأسود والهيل، والقرفة والقرنفل، والزنجبيل والحلبة، وحبّة السوداء او حبة البركة، واللبان والصبغ العربي، والكركي وقشرة الليمون الجافة وغيرهما. وعندما سأل ادريس عن اسعار كل رطل منهما، وجدها اسعارا معقولة وارخص من اسعار كسلا. فأخذ من الهيل، والكزبرة والقرفة رطلا من كل منهما. وعندما هم لدفع اثمانها، سده حقوص وهو يحلف باليمين الغليظة، فلم يكن لإدريس سوى الإنصياع لما طلب منه.

كما لم ينسى الصديقان من التوجه الى محلات بيع الأقمشة ليجدا فيها انواع متعددة من الدمور والبافته، والبوبلين والشاش، والكاكي بجميع انواعه البني والأصفر الفاتح، والأزرق الحكلي الذي يستخدمه اصحاب الورش الميكانيكية. ولاحظا بان البعض من تلك البضائع محلية والبعض الآخر مستورد من اليابان او بعض بلدان شرق آسيا. كما وجدا ايضا العديد من الأقمشة الجاهزة للنساء والرجال، وحتى الأطفال. وسمعا اصحاب المحلات كل منهم ينادي عليهما لشراء بعضا من بضاعتهم عارضين عليهما اسعار معقولة.

حان وقت الغداء ليعود الصديقان الى البيت، حيث وجدا ترحس وقد جهزت الطعام الذي ساعدتها فاطمة على طبخه وتحضيره. وقد كان طعاما إرتريا متواضعا لم يتعدى الزقني (1). وما ان انهيها طعامهما حتى ارادا تبادل المعلومات والأخبار حول آخر مستجدات الأوضاع السياسية في ارتريا. فأقترح حقوص ان يبدأ ادريس بذلك، حيث انه قادم للتو من كسلا التي لا تغيب عنها اخبار إرتريا. فبدأ قائلا:-

- الأخبار في إرتريا تسير من سيئ الى أسوء. فلا حكومة وطنية هناك، ولا برلمان قادر على إيقاف الإنتهاكات الأثيوبية. وما عاد الناس يطبقون الممارسات الجائرة.

تدخل حقوص ليقول:-

- افادت الأخبار القادمة من إرتريا بان الإمبراطور هيلي سيلاسي اصدر اوامره بعدم رفع العلم الإرتري في الأماكن العامة والدوائر الحكومية. فما صحة ذلك؟
رد ادريس قائلا:-

- نعم لقد امرت المحكمة العليا الإثيوبية، وفي اعتقادي بإيعاز من الحكومة الأثيوبية، وهذا ليس من اختصاصها، الى إزالة العلم الإرتري الذي كان يرفع بجانب العلم الأثيوبي، من سارية بلدية اسمرا. وذلك تحت حجة ان لاضرورة لرفع علمين لدولة واحدة في مركز حكومي واحد. وكرد على هذا الإجراء قامت مظاهرات جماعية، وأمطر الزعماء السياسيين الإمبراطور والحكومة الإرترية بسيل من برقيات الإحتجاج، لتضطر الحكومة الأثيوبية اخيرا الى السماح بإعادة رفع العلم الإرتري بصورة مؤقتة في كافة الدواوين الحكومية والعامة.

كان حقوص متلهفا لسماع ومعرفة آخر اخبار ومستجدات نشاطات اتحاد ال إرتري، فسأل قائلا:-

- وماذا عن نشاطات اتحاد ال؟

اجاب ادريس قائلا:-

(1) الزقني طعام يشتهر به اهل مرتفعات إرتريا، يتكون من قطع صغيرة من لحم البقر او الخروف، يضاف اليه البصل والثوم والشطة الحمراء الحارقة وبعض البهارات، وتغلى كل هذه المكونات وتحمر تماما بالزيت او السمن.

- في العاشر من مارس 1958م قام اتحاد عمال إرتريا ولأول مرة منذ حله في العام 1953م، بأكبر مظاهرة شهدتها البلاد، وذلك احتجاجا على التخريب الإقتصادي والسياسي الذي تمارسه الحكومة الأثيوبية في إرتريا. وكانت من نتائج تلك المظاهرة اصابة العاصمة اسمرا، وجميع عواصم الأقاليم بالشلل التام الذي استمر لأربعة ايام.

واضاف قائلاً:-

- وقد كان رد فعل السلطات الأثيوبية قاسيا، اذ تم قمع المظاهرة بقوة السلاح، كانت نتائجها وفاة تسعة اشخاص وجرح اكثر من خمسمائة إرتري حسب الأرقام الرسمية التي اعلنت.

قبل ان ينهي الصديقان حديثهما، دخلت عليهم ترحس وهي تحمل أبريقا مليئا بالشاي الحليب، وصحنين من الفول المدمس، وبعض قطع الخبز السوداني، وهي تقول:-
- ها قد احضرت لكم عشاءكم.

تأكد الصديقان بأن ليل بلدة خشم القرية قد بدأ يسدل ستاره. فتناولا عشاءهما، وتوجه كل منهما الى مرقده، ليغرقا في نوم عميق، وبفيقا منه في الخامسة والنصف صباحا مع زغرغة العصافير التي تجوب البلدة، ويتوجهها سريعا الى موقف الباصات. حيث تمكن ادريس وزوجته من اخذ مقعديهما في احد الباصات الذي توجه بهم الى مدينة كسلا.

